الدّرس البلاغي العربي القديم في القراءات الحداثيّة (مثال من القراءة التّأصيليّة والقراءة الانفتاحيّة)

اليزيد بلعمش [1*] **، الزايدي بودرامة** [2]
[1] جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، الجزائر
el-yazid@hotmail.com
[2] جامعة سطيف2 ، الجزائر
Boudrama1981@gmail.com

الإرسال: 2020/07/20 **القبول:**2020/11/24 **النشر:** 2021/03/10.

الملخص: سعينا في هذا المقال إلى تقديم تصوّر للجهد البلاغي العربي الحديث في علاقته بالدّرس البلاغي العربي الموروث ، مركّزين على القراءات التي حاولت تحديثه دون إلغاء أصوله ونظامه ، ذلك أنّ هذه القراءات ارتأت الإسهام في نقله من طابعه المعياريّ التّعليميّ الجامد ، إلى طابع يفعل في استنطاق النّصوص وتحليلها ، وقد ركّزنا على نموذجين منه أحدهما ذو توجّه تأصيليّ لمحمد محمد أبو موسى ، والآخر ذو توجّه انفتاحيّ لمحمد عبد المطلب ، فاستعرضنا دوافع كلِّ قراءة ، وآلياتها ، ونتائجها. وقد توصّلنا من ذلك إلى أنّ الدّرس البلاغيّ العربيّ القديم قد احتوى مؤهّلات تقعيديّة تناولت النّصّ من مختلف جوانبه ولكن على الرغم من ذلك فإنه يظلّ بحاجة ماسَّة لأن يكون منفتحا على كلِّ الأدوات المنهجيّة قصد الرّفع من قدرته التّحليليّة للنّصوص (تفسيرا ، وتذوّقا)؛ ذلك أنّ المعرفة ملك إنسانيّ مشاع ، ولا ضير من استفادة المتقدّم من أنظار المتأخّر.

الكلمات المفاتيح: النص ؛ التراث ؛ البلاغة العربية ؛ القراءة التأصيلية ؛ القراءة الانفتاحية.

[*] **المؤلف المرسل.**

The Old Arabic Rhetorical Lesson in Modernist Readings (An Example of Original and Open-minded Readings)

Abstract: In this article, we sought to present a visualization of the modern Arab rhetorical effort in relation to the inherited Arab rhetorical lesson, focusing on the readings that attempted to modernize it without canceling its origins and system, since these readings sought to contribute to its transfer from its rigid educational normative character to a character that explores and analyzes texts. We have focused on two models of it: One of which is a pedagogical approach to Muhammad Muhammad Abu Musa, and the other is an open-minded approach to Muhammad Abd al-Muttalib. We have concluded that the ancient Arab rhetorical lesson contained qualitative qualifications that dealt with the text in its various aspects, but in spite of this, it urgently needs to be open to all methodological tools in order to raise the analytical capacity of the texts (interpretation and taste), because knowledge is a common human property, and there is no harm in generations benefiting from each other.

Key words: Text ; Heritage ; Arabic Rhetoric ; Original Reading ; Open-minded Reading .

1- مقدّمة: لا زالت البلاغة العربيّة تتربّع على عرش الدّراسات اللّغوية ؛ لكونها المجمع الذي تلتقي في رحابه مختلف الجهود اللّغوية للمستويات السابقة ؛ فدراسة الأصوات والمفردات والتّراكيب ما هي إلا طريق ممهّد إلى الدّراسة البلاغيّة ، وما الدّراسة البلاغيّة إلا تحصيل للمعنى المراد تبليغه انطلاقا من خصوصيّة المبنى التي راعاها المتكلّم في كلامه وهي - بهذا - مرتبطة أشدّ الارتباط بالْغاية التي تستخدم اللّغة من أجلها (أداة للتّواصل) ، أمّا باقي العلوم اللّغويّة من دراسة للأصوات ، والمفردات ، والتّراكيب فهي دراسة كاشفة لبنية اللّغة ، ممهّدة ، ومعيّنة على تفسير ما ستوظّف في سبيله. وقد نالت الدّراسة البلاغيّة على

مختلف العصور اهتماما بالغا وبارزا ، وهو اهتمام يعكس قيمتها ، وحظوتها عند المشتغلين عليها من جهة ، كما يعكس قيمتها في ذاتها من جهة أخرى. وقد زاد هذا الاهتمام في العصر الحديث ، فتوجّهت إليها جهود الباحثين العرب بالبحث ، والتّنقيب في مجالاتها للشّرح ، والتّوضيح تارة ، بإثراء جوانب البحث فيها بما جدّ في البحث الإنساني عموما ، والبحث اللّغوي خصوصا تارة أخرى ، وبمحاولات التّجديد والتّصحيح تارة ثالثة ، بالنّقد والتّعقيب تارة رابعة ... وهكذا. فإلى أيّ مدى حقّقت تلك الجهود ما تصبو إليه ؟ وما أبرز الظروف المتحكّمة في ذلك ؟ وما الأثر المحقّق منها ؟

الإجابة عن هذه الأسئلة مهمة جدا ؛ لأنّ مثل هذه الأسئلة ذات أبعاد ابستيمولوجية ، تنبني على عملية مراجعة استيعابيّة للجهود المبذولة لقصد تقييم الحصيلة المعرفيّة لعلم البلاغة العربية ، ومعرفة مدى قربها من الأهداف التي سطّرتها لنفسها ، أو التي تُسطّرها ، كما أنّها تكشف عمّا إذا كان لهذا العلم كفاءة الاستمرارية التي تؤهّله للبقاء ، أو أنها وليدة إطار زمكاني يحجب عنها إمكانية الاستمرارية ، والتّطوير ، والتّطعيم.

يجد المطلع على مختلف الاتجاهات التي رامت إعادة قراءة الموروث البلاغي اتجاهين كبيرين يعكسان رؤى ، ومواقف مختلفة من التّراث البلاغي ، أحد هذين الاتّجاهين يؤمن بالتّراث وينطلق منه ، والآخر يعتقد أنّ التّراث قدّم أدوات قرائيّة لمرحلة تخصّه في زمان معين ولا يمكن تعميمه ، أو استثمار معطياته ، وما توصل إليه من نتائج ، وسنركّز على الاتجاه الذي ينطلق من التراث ، ويؤمن بإمكانية إحيائه ، وتطعيمه وتطويره ، وهو ذاته يمكن أن نميز فيه بين:

- اتجاه يؤمن **بقراءة التّراث بالتّراث ،** واخترنا من هذا **محمد محمد أبو موسى**[1] أنموذجا.

- اتجاه يرى أنه يمكن الانفتاح **على الدّرس اللّساني الحديث ،** واخترنا منه **محمد عبد المطلب** أنموذجا.

وقد سعينا - قدر المستطاع - إلى رسم الملامح والظروف العامّة التي تحيط بكلّ اتجاه ، والمعالم الموضّحة له ، متتبّعين المسار الذي يسلكه في الاصطلاح والدلالة ، وصولا إلى معرفة الآفاق التي حققها أو التي تمكّن من فتحها ، أو استثمارها.

والغاية من كلّ هذا هو السّعي إلى وضع استراتيجية مثمرة في قراءة التراث ، وإعادة إنتاجه في ضوء المتغيّرات التي يشهدها الفرد والمجتمع ، إن على مستوى المادّيات ، أو على مستوى الذّهنيّات (الأفكار) التي تتطلب نوعا من التعامل مغايرا لما كان مألوفا أوّل الأمر.

وقد انطلقنا من فرضية نحسب أنّها صحيحة ، لكنّها تحتاج إلى إثبات ، وتدليل فقط ، وهو أنّ التراث البلاغي العربي يمكن استثماره ، وتطويره ، والاستفادة من نتائجه في قراءة مختلف النّصوص الأدبيّة ، وتحليلها ، ونقدها ، وأنّ القراءة المقدّمة هي قراءة التّراث بالتّراث ، أو القراءة الأصيلة ، لأنّها استمرار لما قدّمه السّلف ، مع الانتباه إلى الاحتياجات المستجدّة ، ومحاولة إيجاد حلول لها.

أمّا عن المنهجيّة المتبعة في هذه الورقة ، فقد وزّعنا مادة المقال توزيعا يجلي ما نصبو إليه ؛ بدأناها بوضع القارئ في سياق الموضوع ، فتحدّثنا عن البلاغة ومراحل تطوّرها ، ثم أخذنا في عرض معالم القراءة عند كلّ من محمد محمد أبو موسى ، ومحمد عبد المطلب ، ركّزنا فيها على بيان دوافع القراءة عند كل واحد منها ، ثم حاولنا إبراز الآليات التي اعتمدها كلّ واحد منهما في القراءة ، وأنهيناها بتلمس النتائج التي رامتها كلّ قراءة من القراءتين ، معتمدين في هذا العرض على المنهج الوصفي التحليلي ، نصف الأقوال ونحللها عند هذين العلمين ، وصولا إلى تقرير النتائج.

2. مراحل البلاغة العربية من المهد إلى اليوم:

تلتقي أقوال الدّارسين على أنّ البلاغة العربية في مسيرتها التّاريخية قد مرّت بمراحل متعدّدة ، وأطوار مختلفة ، بسبب الظروف التي أحاطت بها ، وبدارسيها ، والمؤثرات التي عاشوها.

وقد اختلفت كلماتهم ، وآراؤهم في تحديد هذه المراحل ، والأطوار تبعا لاختلاف المرتكزات التي يعتمد عليها كلّ واحد منهم. وكما هو معلوم فإنّ التأريخ للعلم يواجه الدّارس فيها صعوبات عملية ومنهجية متعدّدة "لعلّ أشدّها عسرا ، وأولاها بالتّفكير والتّدبير الاهتداء إلى المسلك الذي يمكن الباحث من إبراز ما يعتبره أساسيا من تحديد الفترات الحاسمة في تطور ذلك العلم ، وتزداد الصّعوبة تبعا للحيز الزّماني الذي يتنزّل فيه البحث ؛ إذ كلّما امتدت الفترة تشعّبت القضايا ، وتداخلت الأسباب ، واختلطت كلّيات العلم بجزئياته ، فتدقّ المقاييس التي نميّز بها بين الفترات ، وقد تحتجب ، ويتعلّق الناس منها بما يكون - ربما- أقلها جدوى في ضبط التّحولات الكبرى"[2] ، فإذا كان صاحب هذا النص ارتكز على الحدث الجاحظي في التقسيم الزمني للبلاغة العربية في عهدها القديم ، فإنّ الأمر بالنسبة للعصر الحديث يبقى أشدّ خطورة وصعوبة منه ، وهذا بسبب تعدّد الآراء والاتّجاهات ، وكثرة المنعرجات والأفكار ، إلا أنّ الطابع العام له يوّحد بين أجزائه ، وهو ما يجعلنا نعدّه مرحلة من

مراحل البلاغة. ويمكن أن نتصور للبلاغة العربية على امتداد الخط الزمني منذ ظهور الدّراسات اللّغوية إلى يومنا هذا ، ثلاث مراحل كبرى[3] ، هي:

2-1- مرحلة النّشأة والتّطور:

يمكن حصر هذه المرحلة في البدايات الأولى لها إلى قبيل زمن السكاكي (أي: إلى حدود القرن السّادس الهجري)، وما يميّز هذه المرحلة أنّ البلاغة كانت تتطور فكرة فكرة وسط العلوم العربية الأخرى ، استجابة لما تمليه طبيعة الحياة وشؤونها ، سواء تعلق الأمر بالمسائل الدينية ، وقد كانت لها نصيب الأسد من ذلك ، أم تعلق الأمر بالمسائل الشعرية ودراستها مما له صلة بالعلوم الدينية ، فرجع الأمر كلّه إلى الدافع الديني. وقد غلب على هذه الفترة المسحة الأدبيّة التّذوقيّة ؛ لأنّ علماء هذه الفترة كان لهم زاد قوي من البضاعة الأدبية وفي هذا السياق نستحضر الجهود التي بذلها عبد القاهر الجرجاني في بلورة معالم الدرس البلاغي تنظيرا وتطبيقا ، فقد استطاع أن يبوب مسائلها ، وأن يفرع جزئياتها ، ويفسر صور أبنيتها ، ويحدد خصوصيات كل ملفوظ ، ولم يتوقف عند حسن التنظيم والتنظير بل سعى إلى تكثيف القراءة التحليلية لمختلف النصوص الأدبية ، مبرزا وجه خصوصيتها وتميزها ، وقد استطاع بفضل المنهج الذي اعتمده حصر "أسس بلاغة الكلام وأسبابها ، والسر في فضل بعضه على بعض ... بمعنى أن مواقفه منها محكومة بتوجّهه المنهجي العام ، وتبلور ملامح التوجه رهينة كل تلك المواقف التي عبر عنها"[4].

2- 2- مرحلة إعادة الصياغة والتّقعيد:

تبدأ هذه المرحلة حين أخذ العلماء يركزون على التجريد والتقعيد ، ويأتي في مقدمتها ما فعله الرازي في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" وصولا إلى السّكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" ، وفي هذه المرحلة انصرفت الجهود إلى تلخيص ، وتبويب ، وتقسيم وتفريع ما ورثوه من زاد بلاغي ، افتتح ذلك السكاكي بكتابه المذكور آنفا ، وأتى بعده القزويني فلخّصه في كتاب آخر سمّاه بـ "تلخيص المفتاح". وبقيت بعدها الدّراسات تدور في التّعليق والتّحشية على هذا الأخير ، "ومنذ هذا التاريخ أخذت تظهر في البلاغة كتب مجملة ، وكتب تشرحها ، وقد يكون الشرح هو الآخر من الصعوبة والغموض بحيث يحتاج إلى شرح ، فتؤلف حاشية نكشف عن غموضه وصعوباته ، ولا نفيد من ذلك تحليلا دقيقا للنصوص"[5] ، ممّا جعل معظم الدّارسين المعاصرين ينظرون إلى هذه الفترة نظرة سلبية ، وعدّوها مرحلة انحدار وتراجع وجمود ، ولذلك علا صوت من يقول: "لم تستجب هذه المرحلة لناموس الحياة في تطورها ،

فلم تكن كتب البلاغة صدى لأدب العصور التي ألّفت فيها"[6] ، ويقول آخر: "يبدو أنّ جذوة النّشاط التي اشتعلت في القرن الثالث ، وتوهجت في القرون الثلاثة التّالية ، فألقت أشعتها على أكثر جهات الفن الأدبي ، أصابها الخمود ، الذي كان مظهره موت الملكات الفنية ، وقد كانت تجري في تناول البيان على أساس من الذوق الذي هذبته المعرفة ، وتحول هذا التيار إلى وجهة لا تلتئم مع طبيعة هذا البيان ، الذي دخل في طور جديد من التقسيم ، والتقنين والتعريف ومحاولة حصر المسائل ، وهذا الاتجاه هو الذي باعد بين معنى البيان الشّامل المتسع الأطراف ، وبين أثره في إرهاف الحس وتنمية الملكات ، وأصبح قواعد تحفظ ولا يقاس عليها ، وفقدت البلاغة قدرتها على تذوق البلاغة وتكوين البلغاء والنقاد ، وإن استطاعت أن تكوّن طبقات من البلاغيين يقفو بعضها بعضا وهي في أكثر الأحيان صورة حائلة لأصل مشوَّه"7 ، وفي الإطار نفسه يقول ثالثهم: " ويجمع الباحثون المعاصرون على جمود البلاغة العربية ، وهي بين يدي السّكّاكي ، والقزويني وأمثالهم من العلماء الذين غلّبوا المنطق والفلسفة على النص الأدبي ، فأماتوا روحه وأبقوا على قشره ، فقد أشاع السّكاكي كثيرا من الالتواء والعسر بسبب ما عمد إليه من وضع الحدود والأقسام المتشعّبة ، فإن المباحث البلاغية تشبه دغلا مقلقا ، لا يمكن سلوكه إلا بمصابيح المنطق ، ومباحث المتكلمين والفلاسفة"8. وقد كانت هذه الانتقادات ، والمراجعات والامتعاض من البعد التجريدي المنطقي المغرق الذي آلت إليه البلاغة العربية بمثابة حافز دفع إلى محاولة العودة بالبلاغة العربية إلى مكانتها التي من أجلها وجدت ، وهو ما نلمحه في الجهود التي بذلها بعض المعاصرين ، وهو ما نعالجه في النقطة الموالية.

2- 3- مرحلة العصر الحديث:

لا غرابة ، بعد أن رأينا هذه الطائفة من النّصوص الناقدة لبلاغة السّكاكي ، أن تكون هناك بوادر مرحلة جديدة مناقضة للمرحلة السّابقة ، تنادي بإعادة تشبيب البلاغة العربية ، وإعادة مجدها المسلوب ، فبدأت مع جماعة البعث والإحياء التي انطلقت مع محمد عبده وتلاميذه " فقد أحسّ بالجمود يكاد يخنق المجتمع العربي ، فلا حركة فيه تدلّ على الحياة ... أحسّ أن لا قيام لهذا المجتمع إلا بترقية ذوقه ... فنشط إلى إحياء الدرس البلاغي بعيدا عن السّكاكي وأضرابه ممن حوّلوا هذا الدّرس إلى رياضة عقليّة ، واتّجه إلى عبد القاهر فتصدى لدرسه في الأزهر"9، وكان من أخص تلاميذه محمد رشيد رضا الذي قام بطبع الكتابين والتعليق عليهما ، فقرّب بذلك التّراث من الناس ، وفتح باب الاشتغال عليه ، ومحاولة تجديده ،

وتطويره بأساليب مختلفة وأدوات متنوعة ، واتجاهات متعدّدة ، فلمعت إثر ذلك أسماء كثيرة ، وأنتجت كتب كثيرة ، وخصوصا بعد انتشار الدّراسات اللّسانية في الوطن العربي.

ولأخْذِ لمحةٍ عن هذه المحاولات التّجديدية ، ومعرفة بعض الاتّجاهات التي كانت تسيّر هذه الحركة الفكرية ، والاطلاع على ما قدّمته من خدمةٍ للّغة العربية ، اخترنا مؤلفين بارزين في الساحة البلاغية الحديثة ، يمثلان اتّجاهين متباينين من التراث (اكتفاء وانفتاحا) ، لكنهما يتفقان في مبدأ الأخذ به ، هذان المؤلفان هما:

- **محمد محمد أبو موسى** من خلال العديد من كتبه منها: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني ، التصوير البياني دراسة تحليلية ، وكتب أخرى أعاد فيها صياغة الدّرس البلاغي.

- **محمد عبد المطلب** من خلال كتابه: البلاغة العربية قراءة أخرى.

وقد نهجنا في تناول هذا النتاج البلاغي لهذين الباحثين رؤية نحسبها تفي بالغرض من هذه الدراسة ، وتكشف عن الجوانب التي استفادتها البلاغة العربية من الدراسة المعنية ، تمحورت في ثلاث نقاط ، يمكن إيجازها في:

أ- محاولة تملس الدوافع التي حملت على كل قراءة من القراءتين ، لأن النتائج المرجوة من أيّ دراسة تكون دوما مبنية ، ومرهونة بالخلفيات التي تسيّر تلك الدراسة.

ب- الكشف عن المنهجية التي سارت عليها كلّ قراءة ، والكيفية التي أعادت بها صياغة البلاغة العربية ؛ بمعنى آخر: ما هو الهيكل الذي انتهجته تلك الدراسة؟ وما كبرى القضايا التي ركزت عليها في بعث الفكر البلاغي من جديد؟

ت- الآفاق التي فتحتها في البلاغة العربية ، أو النتائج التي أسلمت إليها هذه الدراسة. وهنا نميّز بين الجوانب المثمرة ، واللبنة النافعة التي قدّمتها هذه الدّراسة أو تلك للبلاغة العربية.

3- نماذج من الدّرس البلاغيّ الحديث:

سنعمل في هذا العنصر على تقديم الأنموذجين اللذين خصّصناهما بالذكر آنفا ، وهو نموذج محمد محمد أبو موسى التّأصيلي ، الذي رأى أن ينطلق من التراث البلاغي ، وأن يعاد بعثه ، وإحياء مصطلحاته ، ومفاهيمه التراثية ، وتفعيلها في قراءة النصوص وتحليلها ، دون الخروج من دائرة التراث ذاته ؛ بمعنى أنه يرفض أيّ انفتاح على مفاهيم أخرى غير المفاهيم التراثية ، حتى ولو كانت المفاهيم الحديثة تتقارب وتتقاطع مع المفاهيم التراثية ، وسبب هذا الانغلاق على الذات التراثية أنه ءامن بكفاية المقاربة التراثية تنظيرا ، ويبقى المجال واسعا

لمن أراد أن يستثمرها في قراءة النّصوص وتحليلها ، فكما وسعت رؤى المتقدمين ، فيمكنها أن تسع أفكار ورؤى المتأخّرين ، ذلك أنّ "العلاقة بين الباحث وما يدرسه من تراث العلماء علاقة حية منتفضة ، تبعث في التراث الحياة والفوران ، كما تبعث في الدراس الأصالة والتمكن"[10] ، وفي المقابل نجد النموذج الثاني الذي اخترنا الباحث محمد عبد المطلب لتمثيله يدعو إلى الانفتاح على المقاربات الحداثية ، ومعرفة وجوه الاتفاق ، واستثمارها في إعادة صياغة معالم الدّرس البلاغي العربي القديم ، فهو يدعو إلى تقديم "قراءة لبلاغتنا القديمة قراءة جديدة تستوعبها أوّلا لتعيد إنتاجها في صياغة حداثية ، قد لا تتوافق مع المقولات التراثية شكلا ، لكنها تعبر عن مضمونها تعبيرا صحيحا"[11] ، وسنعمل على توضيح كل نموذج مركزين على الدوافع ، ثم آليات القراءة ، ثم تلمس نتائج كل قراءة.

3-1- محمد محمد أبو موسى[12] :

3-1-1: دوافع القراءة:

إنّ الدافع الذي ركّز عليه محمد أبو موسى كثيرا ، وكثيرا ما كان يذكره في مقدماته التي يدبّج بها كتبه ، وأحيانا يدرج ذلك ضمن المادة البلاغية ، وهو تأسفه على الواقع الذي آلت إليه المعارف العربية في العصر الحديث ، فقد صارت تُنقل عن الآخرين دون أن يكون فيها للمتعلم والمعلم حظ غير النّقل الأمين ؛ يقول: "والأغرب الغريب أن تمضي النّخبة على ذات الطريق الذي خطه لها عدوها الألدّ ، وأن تقوم الحركة الفكرية وخصوصا في مجالات اللغة والأدب ، والنقد ، ومناهج ذلك كلّه على الاقتباس من العدو الألد ، حتى صارت ثقافتنا صدى لثقافته ، بل وغابت أعلامنا ، وحضرت أعلامه ، وغابت علومنا وحضرت علومه. وصرنا هامشا فارغا على معطياته العقلية والفكرية"[13] ، ويشدد اللّهجة عندما يعدّ أنّ هذه العملية الانفتاحية الكبرى على الغرب هي في حقيقة أمرها عملية تبشيرية ، وذلك لما بين العلوم والعقائد من ترابط ، يقول: "وأيّ قارئ عربي محدود المعرفة يدرك ما بين علومنا وعقائدنا من ترابط ، وأن الأمر كذلك عند غيرنا ... ولا ريب أنّه يترتب على هذه الحقائق المسلّمة أمر منكر جدّا ومستبشع جدا ، وهو أن تصير جامعتنا في كثير من أقسامها مراكز تبشير ثقافي ، وأنها مراكز تبشير من نوع متميز جدّا ، لأنها لم تطرح الفكر الأوربي المسيحي فقط ، ولم تعرض المذاهب والمناهج الأوربية المسيحية فقط ، وإنما فرضتها على طلاب أقسام اللغة العربية ، وغيبت مناهجنا وعلومنا ، أو أبقتها لترميها بالحجر ، ولا ينجح أبناؤنا في هذه الأقسام إلا إذا حفظوا هذه المناهج التي هي مادة تبشير ... "[14] .

ويذهب إلى أنّ هذا الاستقدام غير الممنهج غيَّر من نظرتنا إلى التراث ، فجعلنا ننظر إليه نظرة نقص وازدراء ، يقول في هذا المجال: "والمشكلة ليست تطبيق مناهج الدراسة الأدبية الأوربية المسيحية على القرآن أو عدم تطبيقها ، وإنما المسألة لها جذور أخرى هي أن الدراسة الأدبية قد انحرفت على العلوم العربية انحرافا كاملا ، ولم يعد هناك من يقرأ الجاحظ ، والتوحيدي ، والجرجاني ، والآمدي ... وغيرهم ، إلا أن يقرأ عنهم قراءة مصحوبة بالقول: لم يفهموا الاستاطيقا ، وأنهم سطحيون في فهمهم لجوهر الشعر وآليات نقده..."[15].

كل هذا كان له أثر سيء جدا على تعامل جيل المعاصرين مع التراث ففصل عنه ، ولم يُرَبَّ هذا الجيل التربية اللائقة على هذا التراث ، بل صارت نظرته إليه نظرة الغريب ، يقول: " إنّ معرفة البنية العميقة والسطحية ، والعلاقات الأفقية والرأسية ... وغير ذلك كل هذا جيد ، ولكنه لا يكون البتة مادة علم يربى عليها جيل إلا إذا كنا نريد تدميره تدميرا ، لأن الجيل لا يُرَبَّى إلا على علم يذوقه لسانه ، وتنغمس فيه خواطره ، وتتغلغل فيه بصيرته ، وتكون أصوله بين يده ، ويعني أن يكون قادرا على قراءة الأصول والمصادر ، وجذور المعرفة التي قرأها فلان وفلان"[16] ، ويقول أيضا في تعليقه على كلام الجرمي الذي يقول فيه: "أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه" : "والجرمي في هذا الخبر تجاوز نصوص سيبويه ، وتجاوز مضامينها النّحوية إلى ما وراءها من ضوابط الفكر ، وطريقة النظر ، وكيفيات البحث والمراجعة ، وكل ذلك غائر في عقل سيبويه ، واستشفه الجرمي ، ثم جرده ونقله إلى حقل علمي آخر ... وهذا ضرب من قراءة التراث بالتراث"[17] ، وهو الهدف الذي أمّه محمد أبو موسى من قراءته للبلاغة العربية ، فهو أراد أن يخرج بالفكر العربي عامة ، واللغوي خاصة من هذا النوم المفتعل بسبب قطعه عن التراث ، والانشغال بالعلوم المستوردة ، إلى مرحلة الحياة التي عاشها زمنا ، وذلك بزرع بذور التراث في فكره لتنتج علما ، وفكرا نابعين من الجدّ ، والاجتهاد ، والمعاناة ، حتى تنكسر الأغلال والأقفال التي وضعت على وعي الأمّة بسبب إلفها النّقل عن الآخرين.

3-1-2: آلية القراءة:

كانت انطلاقة محمد أبو موسى كردّة فعل للواقع السّابق ، ولهذا سعى سعيا حثيثا إلى محاولة أن يجعل من هذا الفكر أداة فعّالة منتجة ؛ فقد ابتدأ عمله في القراءة البلاغية بالتفكير أوّلا في الأسلوب الذي يجعل الفكر البلاغي في مستوى الطموحات ، وفي مستوى تلك الرغبة التي أبداها ، ويكمن هذا الأسلوب في الحديث عن أصل ذلك وأساسه ، والمرجع الذي ينبني

عليه ؛ وهو **الحديث عن المعرفة وآلية صناعتها** ، وهو ما عبر عنه بقوله أن "تفتح صفحات المعرفة التي تدله على طرائق المعرفة"[18] ، وهذا بدوره يحصل بأمرين ، أشار إليهما في موضعين متفرقين ، وعليهما أدار جلّ عمله القرائي ، هما:

أ- النظر في حركية الأفكار:

يشير إلى هذا الأمر ما كان يردده في مؤلفاته من أنّ ما كان يحبه ويهواه هو: "رؤية الأفكار وهي تنمو ، وتخرج الفكرة من قلب الفكرة كالبذرة تخرج من قلبها النبتة تسكنها هذه البذرة على ظاهر الأرض ، وتغيب هذه البذرة في باطنها ، وتصير غذاء لهذه النبتة... ثم تذهب هذه للحياة ، وتلك للفناء"[19] ، وهكذا بفعل هذه الحركية يقترب العقل من المعرفة الأصلية ، ثم ينبت حولها أفكارا أخرى ، ولطائف ودقائق ، حتى يصير كلما قرأ بابا وظن أنه وصل إلى آخره ، فاجأه باب من الفكر ينجلي ، وينبثق من ورائه.

وعلى أساس تَلَمّس هذه الحركيّة ، وتقريبها من الذّهن ، أعاد شرح المسائل البلاغية تنظيرا ، في كتاب "خصائص التراكيب" ، وكتاب "دلالات التراكيب" ، وكتاب "التصوير الفني". وتطبيقا في كتاب "من أسرار التعبير القرآني" ، وكتاب "قراءة في الأدب القديم". وبذلك اتّضحت المعالم البلاغية اتّضاحا كشف عن هويتها ، وقرّبها من الذهن المعاصر بحيث يستطيع استيعاب معالمها ، ومعرفة آفاق نفوذها.

ب- النظر في حركية العقل البلاغي نفسه:

يُعنى بها هنا تركيزه على الآلية التي يتعامل بها عقل البلاغي ، كابن الأثير ، أو ابن رشيق ، الباقلاني ، أو عبد القاهر ، أو الخطيب ، أو التفتازاني ، أو القرطاجني ، ... أو غيرهم مع المادة البلاغية ، لهذا نجده شغل نفسه في الشّقّ الثاني من البحث ، والتأليف بالكتابة عن فكر أولئك الذين أصّلوا للبلاغة العربية ، وأرسوا دعائمها ؛ فكتب عن فكر عبد القاهر كتابا كاملا سمّاه "مدخل إلى كتابي عبد القاهر" ، وخصص لحازم كتابا عنونه بـ "تقريب منهاج حازم القرطاجني" ، وفي كتابه "مراجعات في أصول الدرس البلاغي" و"كتاب الإعجاز البلاغي" نجد حديثا دسما معمقا عن عبد القاهر أيضا وعن كوكبة أخرى من البلاغيين هم: أبو الفتح ابن جني ، وعبد الجبار المعتزلي ، والباقلاني ، والزركشي ، والخطابي... والغاية من دراسة الفكر البلاغي بدراسة فكر هؤلاء "أنك تستطيع ، وأنت تدرس هؤلاء ، أن تستكشف كيف كان يعمل هؤلاء العلماء ، وكيف كانت تعمل عقولهم ، وكيف كانوا يفكّرون ، وهم يستنبطون ويستخرجون ، ويصنعون معرفة جديدة ، وليس في باب العلم شيء أنفع ، ولا أفعل من أن

تتعلّم كيف استنبط العلماء العلم ، لأنّ الاستنباط هو الذي يهديك إلى استخراج معرفة جديدة ، وفكر جديد ، وهو الذي هدى كلّ جيل إلى تجديد علومه ، وبسط معارفه"[20] . وقد شفّع هذين الأساسين اللذين قامت عليهما قراءته بعامل مهمّ جعل من الدرس البلاغي العلمي أكثر قربا من مفهوم البلاغة التي أريد الوصول إليها بتقعيدها ، وأقرب إلى روحها ولبها ، ألا وهو:

ج- المعالجة الأدبيّة للمواضيع البلاغيّة:

هذا ما يجعل القواعد البلاغية أكثر حيويّة ، ويبث فيها الحياة ، فتصير الغاية المنشودة منها متفعّلة ظاهرة ، وتظهر هذه المعالجة في عدة جوانب منها:

1- الكتابة باللغة الأدبية: فمن قرأ لمحمد أبو موسى عرف أيّ قلم يكتب به الرجل ؟ سيجد لغة يورث الإدمان عليها والقراءة بها ملكة لغوية سلسة ، ذات قيم ومعان أدبية ، وهي اللغة التي تعلم العلم مع الفن ، أي تعطي المعلومة مع الدّربة ، وهو جانب مهمّ يفقده الطلاب اليوم في قاعات الدراسة إلا فيما ندر.

2- التّركيز على كثرة الاستدلال بالقرآن ، والشعر ، والنثر ، ثم يُتبع هذا بتحليل فيه نوع الإطناب لترسيخ الظّاهرة البلاغيّة ، وإعطاء الذّهن مدة أطول لتشرّبها وتأمّلها. ولهذا وجدناه في تحليلاته لا يكتفي بهذه الاستشهادات فقط ، بل يوسع الدائرة حتى يباشر تحليل سور من قرآن كاملة ، كما فعل مع سورة الأحزاب في كتابه "من أسرار التعبير القرآني" وحلل قصائد كاملة كما في كتابه "قراءة في الأدب القديم" وقال في مقدمة هذا الكتاب: "وهذه الدراسة حين تقيم الأدب على بحث الكيفيات والخصائص ، إنما تحاول أن تنقل منهج الشيخ عبد القاهر من ميدان البحث البلاغي النظري إلى أفق الآثار الأدبية التي ترى فيها تلك الخصائص ، والكيفيات تؤدّي وظائفها في الإبانة في سياقها الفسيح"[21].

لقد كان محمد أبو موسى على وعي بهذا الفصم الحاصل بين قواعد البلاغة العربية ، وفضاء حياتها: النصوص الأدبية ، وأن الفصل بينهما وأد لثمرة البلاغة العربية ، وقتل لماء حياتها ، يقول في هذا السياق: "ثم إن محور الدراسة النظرية قد استقطب الجهود المهتمة بآثار هذا الإمام الجليل ، ولم يحاول أحد أن ينقل منهج الشيخ إلى حقل الدّراسة الأدبية ، وأن يقيم طريقة تذوق الأدب ، وتحليله على هذا المنهج مع صحّته ، ودقّته ، وثرائه"[22] ، واستثنى من ذلك محاولة الزمخشري ، إلا أنه علق عليها بقوله: "لكنّها لم تداخل الشعر والنثر على الوجه الذي يكون تجربة وتراثا"[23]. وهذا الكلام من الشيخ يدلّ على قصديته إلى إحياء البلاغة

في ثوبها الأدبي ؛ الثوب الذي لو نزع عنها لبدت عارية من الحسن والجمال الذي سعت إلى تبين هيئته.

3-1-3: النتائج المحققة من هذه القراءة:

في البداية نجد أننا محرجون في تناول هذا العنصر ، لما فيه من احتمالية في أن نبخس الجهد حقّه ، بأن نختصر نتائجه في زاوية معينة ، لأنّ نظرة الباحث قد تكون محكومة برؤية معيّنة ، فتحكم على الدّراسة من تلك الرؤية ، ولذا نقدم بين يدي هذا العنصر بأنّ ما ذكر هنا ما هو إلا إشارة إلى الجانب الذي يخدم البلاغة العربية من خلال تلك التجربة القرائية ، لا حكما على الجهد كله.

وأبرز نتيجة نستخلصها من قراءة أبي موسى أنها قراءة تُحَقِّق وبدرجة كافية فهمَ المادة البلاغية ، وتجلي رؤاها بصورة واضحة ، فهي تفتح الباب نحو تمثّلها التّمثّل المطلوب في عملية الإبداع والتّطوير ، خاصّة من خلال تحكّمه في آليات عمل العقل البلاغي في التحليل والاستنباط ، ومن خلال تصوّره الجيّد للعلاقات التي تتحكّم في المعرفة البلاغيّة.

ولهذا تعدُّ كتب محمّد أبو موسى مادة طيّبة ، يمكن استثمارها في الدّراسة التّعليميّة خاصّة في المرحلة الجامعيّة ، فتدرج هذه الكتب مادة علميّة في مقرّرات الطلبة. خاصّة وأنها جمعت بين الجانب التطبيقي والجانب النظري. وأبرز هذه الكتب التي يمكن استثمارها في تدريس البلاغة ، وتنمية ذائقة المتعلمين ثلاثة: (خصائص التراكيب ، دلالات التراكيب والتصوير البياني) ؛ الأول والثاني متعلّقان بعلم المعاني ، والثّالث خاصّ بعلم البيان ، هذا بالنسبة للجانب النّظري. أما في الجانب التطبيقي فيمكن الاستفادة من كتابي: "من أسرار التعبير القرآني" ، و"قراءة في الأدب القديم". لكن على الرغم من إقرارنا بجدوى ونجاعة ما قدمه محمد أبو موسى فإن السؤال الذي يبقى مطروحا: هل يستوعب الدرس البلاغي جميع المنتجات الأدبية المستجدة ، كالرواية ، والقصة ، وما شابه؟ نعتقد أن هذه المسألة ما زالت تحتاج مدارسة ، وبحثا مدققا ، مع إقرارنا بأن البلاغة هي بنت النصوص ، تعيش في أحضانها وتموت إذا ما عزلت عنها ، لكن سؤالنا موجه إلى كفاية الآليات التي حصلتها من دراسة النصوص القديمة ، هل هي نفس ما تتوفر عليه النصوص الحديثة ، أم أننا نحتاج إلى تطعيم البلاغة بما يستجد من ألوان وصور ، وبحسب ما يصل إليه الفكر الإنساني من أفكار؟

3-2- محمّد عبد المطّلب[24]:

أبرز كتاب لمحمد عبد المطلب في البلاغة العربية ، هو: **"البلاغة العربية -قراءة أخرى-"** الصادر عن الشركة المصرية العالمية. في هذا الكتاب محاولة لإعادة صياغة البلاغة العربية صياغة جديدة كما هو واضح من عنوان الكتاب. وللتعرف على جوانب هذه الدراسة نتناولها وفق الخطوات التي تناولنا بها قراءة أبي موسى.

3-2-1: دوافع الدّراسة:

يقرّ عبد المطلب بأنّ البلاغة العربية قد أصابها من الجمود والركود ، ما حَوَّلَها إلى أداة تفسيرية عقيمة ؛ ويرجع هذا إلى إهمال وظائفها الجمالية حتى غدت هي نفسها سببا في النفور منها ، من هنا "كان الأمر بحاجة إلى معاودة النَّظر في مباحث البلاغة جملة وتفصيلا ، للإمساك بتصور شمولي يجمع مفرداتها من ناحية ، والكشف عن تفسير عميق لتحولاتها الظاهرة والعميقة من ناحية أخرى"[25] ، هذا على وجه العموم.

أمّا الدوافع من جهة التفصيل ، فقد انطلق في تحديدها اعتمادا على عرضه لمجموعة من الآراء الانتقادية التي وُجّهت للبلاغة العربية ، وتقييمه لها ، ليجعلها هي نفسها الدوافع الحاملة على قراءة البلاغة العربية ، وتتلخّص هذه الانتقادات في أمور أربعة ، هي:

1- تحولها إلى العلمية مع السكاكي ، وهذا التحول مناهض للدراسة الذوقية.

2- اعتقاد وجود مفارقة قوية بين الإمكانات الحديثة ، والتحليل البلاغي القديم.

3- مهاجمتهم لمباحث البديع.

4- أعظم ما ألحق بالبلاغة العربية: اتهامها بالمعيارية.

ويرد على هذه الانتقادات ، محلّلا كل انتقاد ، مبيّنا وجه ضعفه ، وهو ما نوجزه في النقاط الآتية:

* أمّا الأول منها ، فيرى محمد عبد المطلب أنه يعدّ من الأمور المحمودة ، والمشرّفة للبلاغة العربية ؛ لأنّ العِلمية تعني المنهجية والضبط[26] ، ولاشك أنّ كل علم يتغيّا الضبط والتقعيد ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لا تناقض بين العلمية والفنية ، "لأنّ البلاغة فن الصّنعة"[27] ، وعليه فالحركة البلاغية يجب أن تبتدئ من منطقة محايدة بين العفوية والقصد على أن تكون الغلبة النهائية للقصديّة بغلافها العقلي"[28]. وهو ما انتهت إليه البلاغة في عهد السّكاكي ، فـ"ما علينا بعد هذا إلا أن نعيد اكتشاف الدروب القديمة التي هجرها الباحثون بدعوى التحجر"[29] .

* أمّا الأمر الثّاني فيورد أنه نشأ من اعتقاد أنّ "المفارقة التي ترجع إلى الشّكل الصّياغي الذي يستمدّ ركائزه من الأدوات البلاغية"[30]، دون الرجوع فعلا إلى "مجموع العمليات الإنتاجية للكشف عن فاعليّتها الإبداعيّة في الوصول إلى تلك النهاية"[31]، ومن هنا أقدمت على هدم البلاغة العربية بهدم إجراءاتها المختلفة شكلا، وهنا يرى عبد المطلب أنه يجب علينا أن "نتصدى لقراءة هذا التراث بوعي منفتح، يلم بمفرداته، وعندها سنجد أن معظمه صالح للحلول في دائرة النقد الحديث، وسيرجع عن اعتقاد القول بتنافي التحليل البلاغي مع معطيات الخطاب الأدبي الحديث"[32].

* أمّا الأمر الثّالث: فقد عد المنتقدون مباحثه مجرد أدوات شكلية مفرطة في الشكلية، ومن ثمة فمباحثه تعد قمة التزيين التحسيني الذي يتنافى مع الأدبية في نظرهم[33]، وهذا القول عند محمد عبد المطلب يثير الاستغراب، من جهة أنّ المبدع إنّما يعمل جاهدا على تجسيد رؤيته للواقع، ويعمل جاهدا على تجاوز الأطر المألوفة، وهنا تكون الظواهر البديعيّة هي أكثر الظواهر التي تقدّم ثراء، وتنوعا للمبدع لاقتناص ما يحتاج إليه من سبل لغوية[34]. وهذا الحكم من هؤلاء انبثق عمّا كان يسم به القدماء هذا المبحث من أنّه أداة تحسينية إضافية بالرغم من أنهم وظفوه توظيفا جماليا، وانطلاقا من هذا يجب علينا "أن نقدم لبلاغتنا القديمة قراءة جديدة تستوعبها أوّلا لتعيد إنتاجها في صياغة حداثية، قد لا توافق المقولات التراثية شكلا، لكنّها تعبر عن مضمونها تعبيرا صحيحا"[35].

* أمّا الأمر الرابع فيرى أن الطاعنين به قد انخدعوا بِالْكَم الهائل من القوانين البلاغية التي وضعت شروطا لإنتاج القول البليغ، ولكنّهم غفلوا عن أنّ مجموعة هذه القوانين لم تأت من تصور تجريدي، وإنما كانت نتيجة متابعة وصفية لمجموعة من النصوص الأدبية[36]، كل هذا يفرض علينا أن نقدر هذا الجهد البلاغي حق قدره، وأن ننظر إليه جميعا (النظرة الشّمولية)، لا إلى مرحلة من مراحله، أو جزء من أجزائه.

وباجتماع هذه الدوافع، لا شكّ أنّ عبد المطلب قد وضع أمامنا صورة نصل من خلالها إلى ما وصل إليه هو، من وجوب قراءة البلاغة العربية قراءة جديدة، إلا أنّه رأى أن يقرأها في ضوء هذا العلم الحديث نظرا للتطوّر الحاصل، مع أنّه أقرّ بعدم إمكانيّة وضع هذا التراث تحت المحاكمة بواسطة هذا العلم الحديث، إنّما نكتفي فقط بالكشف عن خواصّه من خلال ملاحظة نقاط الموافقة والمخالفة[37]. من هنا بدأ درسه للبلاغة العربيّة.

3-2-2: آليّة القراءة عند محمّد عبد المطّلب:

امتدّت دراسة محمّد عبد المطّلب على طول سبعة فصول ، خَصّص منها أربعة لعرض الأصول العملية القرائيّة ، وثلاثة احتوت على الجانب التطبيقي ؛ أي على بناء البلاغة وفق الأصول المذكورة في الفصول الأولى.

1- الفصول التأصيلية: وهي أربعة كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، والذي يهمُّنا منها فعلا الفصلين الأخيرين ، لأنّه اهتمّ في الفصلين الأولين بتقديم قراءة للحدود المعرفية للبلاغة العربية ، ورصد تعامل المحدثين مع هذه الحدود ، ليخلص في الأخير إلى أنّ كلّ ما ذكره البلاغيون حول مصطلحي الفصاحة والبلاغة لم يفقد صلاحيته للحلول في واقعنا الأدبي والإبداعي. والأهم من هذا تقريره أنه "ما زالت موادّ هذين المصطلحين ممثّلة لأدوات تحليليّة قابلة للتّعامل مع الخطاب الأدبي بكلّ مستوياته "[38].

أمّا الفصلان الآخران فقد خصّصهما لإيضاح رؤيته في كيفية إعادة قراءة البلاغة ، أو بعبارة أخرى: لبيان الإطار الفكري الذي على وفقه يعيد قراءة البلاغة العربية ، وهو في رأيه يقوم على:

أ- مبدأ الأصل المفترض: ينطلق في بيان هذا المبدأ من أنّ البحث البلاغي تأثر بالبحث النحوي ، فهو يقوم على افتراض أصل لكل شيء ، "وكل ما تقدمه اللّغة من إجراءات كلامية إنما يقاس - دائما- إلى هذا الأصل باعتماد مجموعة من القواعد التحويلية "[39].

ثمّ إنّ التّحرّك البلاغي ضبط نفسه بدائرتين اثنتين هما: دائر ة مطابقة الدّوال لناتجها الدّلالي ، ودائرة المطابقة بين الناتج الدلالي ، والمقام أو الحال ، وهناك دائرة ثالثة مهمتها تقديم إضافة تحسينية للناتج الدلالي[40].

وإذا أخذنا بالفكرة الأولى (فكرة أنّ لكلّ رؤية أصلا) مع مراعاة التّحرّك البلاغي في الدّوائر الثلاث ، فإن هذا يسلّمنا إلى تقرير أنّه تحرّكٌ يعتمد الأصل ؛ أي البنية العميقة في تفسير الظّواهر البلاغيّة ؛ ففي الدّائرة الأولى تعدّ المواضعة أصلا ، وفي الثّانية يعدّ النمط التركيبي هو الأصل والأساس ، ويعدّ الخروج عنه انتهاكا ، وفي الدّائرة الثّالثة يُلجأ إلى التّكرار النّمطي ، وهذا "يقضي الاعتراف بأن الدرس البلاغي قد انطلق من مفهوم تحويلي"[41] ، أي أنّ هناك أصلا ، وهناك تفريعات تطرأ على ذلك الأصل لسبب من الأسباب فتغيّر منه ، وتجعله مؤهّلا لحمل دلالة أخرى إضافيّة لا يتوفّر عليها ذلك الأصل.

ويصل بنا محمّد عبد المطّلب إلى تقرير أنّ المنهج الذي يلائم قراءة البلاغة العربيّة هو المنهج التّحويلي ، الذي يُنطلق فيه من وجود أصل مفترض بناء على معطيات واقعية يقابله

في المنهج التوليدي التحويلي البنية العميقة التي يرد إليها معطيات الناتج التركيبي المنجز بالفعل (البنية السّطحيّة).

ولكن مع هذا التقريب الذي أجراه محمد عبد المطلب على الدرس البلاغي العربي القديم بغية تحصيل قراءة تكتسب وجاهتها التحديثية، فإنّه يقرّ بأنّ ثمة حدودا تمييزية بين العملية التحويلية في البلاغة العربية، والعملية التحويلية بمفهومها الحديث من جهة الهدف المتوخّى (بمعنى التقاطع في الرؤية العامة فقط، لا التماهي في معطيات هذا المنجز الحديث)؛ فهو عند البلاغيين العرب ليس "الوقوف عند تأسيس مجموعة مبادئ عامّة فحسب، بل يتعداه إلى عملية التفسير التي تحولت أحيانا إلى عملية التأويل"[42]؛ لأنّ الهدف من البلاغة العربية ينصبّ في المقام الأوّل على "تقديم أطر كلية تصلح لتفسير ما أنتجه النص القرآني من دلالات، ثم بالتبعية تصلح لتفسير ما أنتجه الخطاب الأدبي من دلالات، مع التّركيز على طبيعتها الإبداعية"[43]. ولاشكّ أنّ هذا التّنبيه له قيمته؛ لأنّ مثل هذا الفرق مهمٌّ جدّا في التمييز بين مفهومي التحويل عند كل طائفة، وهو ما يستتبع عنه الأخذ في الحسبان خصوصيّة كلّ درس. وبعد أنْ بيَّن هذا، انتقل إلى شرح الحركية التي يحدُث بها التّحول/ التحويل في البلاغة العربية.

ب - حركيّة التّحويل وإجراءاته: يتوقّف تحديد نوعيّة حركة التّحويل أساسا على معرفة طبيعة التّحول في ذاته، وتحديد مفهومه، ولهذا نجد عبد المطلب يشير في البداية إلى أنّ مفهوم التحويل عند البلاغيين يقصد به: "ذلك الإجراء الذي ينطلق من أصل افتراضي يمكن تطبيقه على كل تركيب منطوق بهدف إبداعي"[44]، ويتم هذا الإجراء وفق قواعد تحوِّل الأصل إلى بنية التنفيذ المحوّلة عنه (الفرع)، تتلخّص هذه القواعد في ثلاثة أبعاد تكتسب وجاهتها انطلاقا من الزاوية التي ينظر منها إلى العناصر الأصل، والعناصر المحولة عنها، هذه الأبعاد هي:

- البعد الأفقي: كالتقديم والتأخير.
- والبعد الرأسي: كالفصل والوصل
- والبعد الوضعي: كالتعريف والتنكير.

ويساند هذه القواعد الإجرائية وسائل معرفية، تتمثّل في الإلمام بالدرس النحوي، والصرفي، والأدبي، وحتى مباحث الاستدلال، لأنّ هذه الوسائل تكوّن: "نوعا من الطاقة

الذهنية للتنبؤ بما يمكن أن تنتجه القواعد الإجرائية من احتمالات تركيبية"[45] ، هنا بالتحديد يبرز مفهوم التوليد ، لأنّ في هذه الحالة تولّد العديد من التراكيب ، وبهذا يغيب مقياس الصحة والخطأ (فمجاله ليس البلاغة ، بل بقية المستويات الأخرى الخادمة للدرس البلاغي كما نبهنا سابقا) ليحل محلها مقياس التناسب والأفضلية ، الذي يكشف عن أنسب التراكيب التي يمكن أن تعوض التركيب[46] ، وهكذا نتجاوز القدرة اللّغوية إلى القدرة الإبداعيّة التي عادة ما تلحق خلخلة لبعض القيود اللغوية ؛ كخلخلة الدّلالة الوضعيّة (الانزياح).

وإذا كانت البلاغة العربيّة قد اهتمت بالجانب الفنّي الإبداعيّ الذي يميّز النّصوص الأدبيّة عن غيرها من النّصوص (أو ما يسمّى بالشّعرية أو الأدبيّة عند المعاصرين)، فقد حاول عبد المطلب بيان ، وإبراز الكيفية التي تُظهر معالم اشتغال البلاغيّين العرب ، وهم يكشفون عن هذا المستوى من وجهة نظر تحويليّة.

يقرر عبد المطلب أنّ هذا الأمر مرهون بمعرفة مفهوم الإبداع عند البلاغيين ، لأنه لا يمكن الحديث عن هذا الأمر إلا بتصوّره عندهم ، ومعلوم أن لا إبداع إلا بخروج عن المألوف (تجاوز حدود المواضعة)، وهذا ما لمّح له السكاكي حين قال: "وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة ، وهي تراكيب البلغاء ، لا الصادرة عمن سواهم ، لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق"[47]، وقد رأى عبد المطلب أن هذا التميز للنصوص الأدبية لا يتحقق إلا بـ "الخروج عن المألوف"[48] ، وهو أمر لا يمكن لمحه إلا باستحضار المستوى الأول (الأصل الوضعي) "لأنّ إدراك جماليتها يستلزم حضور الأصل مقيسا عليه لضبط درجة العدول كما وكيفا"[49] وهو ما سماه السّكّاكي بأصل المعنى ، وأورد أنه يعرف أساسا بالنحو ؛ قال: "علم النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب"[50] ، وبما أنه هو الأصل فهو المستوى الذي ينطلق منه لقياس درجة الأدبية ، هذا مع ربطه بالإمكانات التي تقدمها اللغة ، وبالعوامل الداخلية وهو الغرض ، دون إهمال العناصر الخارجية المحيطة بعملية التعبير ؛ أي أنّ الأدبيّة أو الإبداعية بعبارة أخرى " ليست مجموعة من القوانين المطلقة ... إنما مجموعة من الاختيارات الحرة ، يتحرك من خلالها المبدع وبها ، بحيث يكون اختياره موافقا لتجربته ، ومساعدا في الكشف عنها بالنّظر في بعديها ؛ البعد الأوّل يتمثل في توجّه الذّهن إلى الواقع ، والآخر يتمثّل في ردّ الواقع إلى الذهن ، وفهم الخطاب يتوقف على الإدراك الجيد لهذه الحركيّة التّحويلية المزدوجة"[51]. هذا هو أساس

الأدبية التّحوّلية في البلاغة العربية التي توضح الآلية التي يعمل بها البلاغي في مواجهة تحليل الخصائص التركيبية للنّص.

أمّا الفصول اللّاحقة ، وهي ثلاثة فصول ، فقد خصّصها لدراسة الأنماط التّحوّلية في العلوم البلاغيّة ، فكانت بمثابة عمل تطبيقي لبيان أصل التّحول ، وإجراءاته في الفنون البلاغية الثلاثة ، وهي في العموم لا تخرج عن هذا التّصور العام إلا في اختلاف القواعد الإجرائية في العملية التّحويلية التي تنطبق على مستوى دون آخر ؛ ففي **علم البيان** يكون التّحول فيه متجاوزا دائرة المواضعة ، وتستعمل **وسيلة اللازمية** أساسا للتّحول و الانتقال ؛ "فالمجاز ينتقل فيه من الملزوم إلى اللازم ، كما تقول: (رعينا المطر) ، وهذا البناء يتحول في المستوى العميق إلى (رعينا النبات) ، أما الكناية فيتم فيه التحول من اللازم إلى الملزوم ، كما نقول: (طويل الثوب) فإنه يقتضي حضور بنية العمق عن طريق اللزوم وهو (طول القامة)"[52] ، ولما وجد أن هذه الوسيلة تنخرم مع باب من أهم أبواب علم البيان وهو التشبيه بسبب ذكر اللازم والملزوم فيه ، فقد أوجد تخريجا مفاده أن "دخول التشبيه دائرة علم البيان فذلك راجع إلى أنه البنية الأساسية لبنية الاستعارة ، فهي متحولة عنه ، على معنى أن إدراك التحول في الاستعارة يقتضي استحضار التشبيه ضرورة"[53] .

أما بالنسبة لعلم المعاني فإنّ دائرة اشتغاله هي التركيب ؛ أو بالأحرى ، كما قال السّكاكي ، "خواصّ التّراكيب في الإفادة ، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره"[54] ، ويرى عبد المطّلب أنّ هذه الخواصّ يمكن النّظر إليها باستحضار مجموعة من **الثّنائيات** تقوم في جوهرها على التحويل ، هذه الثنائيات هي[55] : أ- (كلام مألوف/كلام أدبي) ويستتبع هذه الثّنائية التّمييز بين نوعي الكلام أو الخطاب ، وكيف يمكن أن نولّد من الكلام المفيد كلاما حسنا رائقا ، وهذا يدل عليه كلام السّكّاكي في تعريفه لعلم المعاني. ب- (المتكلم/ المتلقي) ويستتبع هذا الأحوال التي يكون عليها كل واحد منهما ، ثم إنّ المتكلّم هو مبدع الخطاب ومشكّله ، فعلم المعاني يراعي هذا الجانب ، حيث إنّه يسعى لصقل موهبته ، والارتقاء بها لإنتاج كلام فنّيّ راق متميّز ، ت- (الحال/مقتضى الحال) وفيها يركّز على نمط الخطاب بحسب حال المتلقّي ممّا يلقى إليه (خالي الذهن ، متشكّك ، منكر) ، وبحسب تلك الحال يراعى ذكر عناصر وحذفها (المؤكّدات تخصيصا) ، والتّحويل يكون حين يخالف مقتضى الحال ، وهو ما يسمّى عند البلاغيين بخروج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر[56] ، ث- (الفائدة/لازم الفائدة) وهذه الثنائية مرتبطة أساسا بمدلول الخبر ، أو بالحمولة الإخبارية في علاقتها بالمتكلم

والمتلقي ، وهي تشكل الأصل في الخبر ، فإذا ما حوّلت عن أصلها كنّا بصدد الأغراض الفرعيّة.

أمّا الإجراءات التّحويليّة ، فهي في علم المعاني أكثر تنوّعا ، مقارنة لها بعلم البيان ، لأنّ التّعامل في هذا المستوى يكون مع التّركيب ، ولاشكّ أنّ التّركيب أوسع من المفرد ، ولهذا تنوّعت هذه الإجراءات (تجمعها أبواب علم المعاني) ؛ فنجد منها: الحذف والذّكر ، والتّعريف والتّنكير ، والتّقديم والتّأخير ، والتّقييد وعدمه ... ولكلّ منها إنتاجيّته الخاصّة به.

3-2-3: النّتائج المحقّقة من هذه القراءة:

رأينا - فيما سبق- أنّ عبد المطلب أراد من وراء هذا العمل إعادة صياغة البلاغة العربية صياغة تكشف عن الجوانب العلميّة المنيرة التي يمكن استثمارها في بناء نظريّة بلاغية حديثة ، وبرر هذا بأنها تحمل في طياتها مادة معرفية لكثير من البحوث التي إن أحسن استخدامها حقّقت المبتغى من قراءة النّصوص على اختلاف مضامينها ، واختلاف أزمانها. كما أنّ هذه الدراسة تجيب عن كثير من الانتقادات التي رُمي بها الدّرس البلاغي ، ففيها إجابات عن كثير مما رميت به البلاغة العربية من معيارية ، وتجريد ... ، وفي المقابل تنظر إلى الدّرس البلاغي نظرة إكبار وإجلال ، لا نظرة تقزيم وإلغاء ، وما زاد من وجاهة الطرح الذي قدمه عبد المطلب هو أنه كتبها بلغة تقترب من لسان هؤلاء المحدثين المنتقدين ، أو بلغتهم ، أو بمفاهيمهم التي تعاملون بها ، متبثا أنّ الدرس البلاغي درس منفتح على باقي العلوم والمعارف من غير ذوبان.

من أهمّ الانتقادات التي أجاب عنها:

1- أن الجهد البلاغي الحادث بعد السّكاكي لم يكن عبثا فكريا ، أو تحجّرا ، أو خلطا ولعبا بالمنطق ، بل هو مرحلة من مراحل البحث البلاغي ، تحوّل فيها الدّرس البلاغي من التّطبيق العفوي إلى التّنظير المنهجي ، وذلك بتحويل ما قُدّم قبله إلى قواعد تجبُر ما فات من ملاحقة كلّ الاحتمالات التعبيرية[57] ، ولاشكّ أنّ هذا العمل سابقة منهجية ، وعمل تأسيسيّ مهمّ ، لأنّ ما قدمه السّكاكي والبلاغيون الذين أتوا بعده - على مفهوم محمد عبد المطلب — يعدّ إبرازا للتقنيات الاستدلالية ، والمقدمات المنهجية ، والمفاهيم الأصولية ، والطّرق الاستكشافية التي ينضوي عليها الخطاب السابق له ، وتحريرها في شكل تجريدي مفصول عن المادة المعرفية في حد ذاتها ، ولاشكّ أنّ "اعتماد القواعد العامّة يضمن الطّابع الكلّي للعلم ، ويبعده عن التّشرذم والتجزئة"[58].

2- أكّد عبد المطلب على صلاحية الدرس البلاغي القديم لتحليل النصوص الحديثة ، واستيعاب مستجداتها ، وقد وضّح هذا الأمر بتناوله للتّحوّلات المختلفة لبنية التّشبيه باعتبار أطرافها ، ومثّل لها بنصوص من الأدب الحديث ، وقال: "وإنّما آثرت التّعامل مع الخطاب الحداثي لتأكيد أنّ البلاغيين كانوا على وعي بما بين أيديهم ، كما كانوا على وعي بما يمكن أن يؤول إليه الخطاب الإبداعي ، أي أنّ نظرتهم كانت ممتدّة في الأزمنة الثّلاثة ؛ الماضي ، والحاضر ، والآتي"[59].

3- إثباته أنّ البلاغة العربيّة لم تكن تعنى بطرف واحد من أطراف الخطاب ، وهو المتلقي ، بل كانت تتحرك بالصياغة من شكليّتها الذاتية لتجعلها انعكاسا لمبدعها بكل أحواله الخاصة والعامة ، ومما يدل على هذا أكثر أنها جعلت عملية اختيار الدوالّ مرهونة بالحال الداخلي والخارجي للذي يقوم بعملية الاختيار (المبدع/ منتج النص)[60] ، ويؤكد عبد المطلب هذه الحقيقة حين يورد أنّ من أهمّ الثنائيات التي تدور عليها أبواب علم المعاني هي ثنائية (المتكلم/المتلقي).

و أكبر مقصود كان يسعى إليه عبد المطلب من وراء دراسته لهذا الموضوع هو محاولة إثبات أن الدرس البلاغي ما يزال صالحا لأن يكون حاضرا في السّاحة النقدية المعاصرة ، لأنّ " الواقع أن الدرس البلاغي ... قد أثار مجموعة من القضايا التراثية التي تتّصل بالملفوظ الأدبيّ ، لكن معاودة النظر فيها يؤكد أنها تمتد بفاعليتها لتتصل بقضايا العصر ، وكأنّ هؤلاء البلاغيين مازالوا يعانون ما نعانيه اليوم من تيارات إبداعيّة ، حتى بعد أن امتلأت السّاحة بتيارات وافدة كالأسلوبيّة ، والبنيويّة ، والتّفكيكيّة"[61] ؛ ولا أدلّ على هذا من أنّ القضايا التي أثيرت في الباب الأول من أبواب البلاغة العربية ؛ وهو باب الفصاحة والبلاغة ، ما يزال بمصطلحاته وقضاياه وأدواته التحليلية صالحا للتعامل مع الخطاب الأدبي المعاصر بكل مستوياته (كالتّعقيد ، وضعف التّأليف ، ...)[62].

لقد سعى عبد المطّلب إلى الكشف عن التصور الذي قدمته البلاغة العربية لمعالجة الإبداعيّة ، والأدبيّة ، وتقنينها ، وقد أكد أنّ عطاءها لا يظهر إلا في الحقل الأدبي ، من دون هذا الحقل فإن البلاغة تظل مجرد قواعد نظرية محفوظة في الكتب ، ليس لها أي واقع عملي يظهر نجاعتها ، ويكفي أن ننظر في المراحل الأولى للبلاغة العربية عندما كانت متصلة بالنص الأدبي وبالنقد الأدبي ، فإنها شهدت في تلك المرحلة قفزة معرفية مذهلة ، أما بعد أنّ قلّ اتّصالها بهما فقد خفت نموّها ، وقلّ نشاطها ، وهذا يدلّ على أنّ الأدب ، ونقده هو المعبر

الذي من خلاله تشاركنا البلاغة همومنا الفنية ، والجمالية ، ومشاكلنا الإبداعية ، لذا يجب علينا أن نفكر بجد في إيلاج البلاغة العربية مجال النقد ، وجعلها قاعدة له ننطلق منها إليه ، خاصة وأن تجربة الغربية في هذا المجال قد حققت مبتغاها فيما يتعلق بدرسها البلاغي الموروث ، فأنتجت نوعا من التلاقح أرضيته معارف الدرس البلاغي الموروث ، منتجة مذاهب نقدية حادثة[63].

4- خاتمة: بعد النظر في هاتين القراءتين المختلفتين في التوجه والرؤية للبلاغة العربية القديمة ، تكون قد ظهرت لنا صورة ، ولو بسيطة ، عن الدرس العربي المعاصر وحاله مع التراث عامّة ، والتراث البلاغي خاصّة ؛ هذه الصورة تبرز مسلمة مفادها أنّ هذا التراث في حاجة إلى تنوع الأدوات المختلفة في قراءته واستنطاقه ، وأن تنوع هذه الأدوات يسهم - بدور كبير- في بيان ثراء هذا التراث ، مما يؤهله لأن يكون مقبولا عند القارئ العربي المعاصر ، كما يؤهّله لأن يكون دائم الحياة ، وذلك بانفتاحه على اكتساب تقنيات جديدة في التّحليل ، والتّفسير تواكب النصوص الحديثة بعد أن أثبت نجاعته في مواكبة النصوص القديمة ، على أنه ينبغي أن تتجه البحوث الحديثة نحو نوع من البناء ، والتكامل فيما بينها حتى لا تتآكل فيما بينها بفعل الانفرادية ، والجري وراء الموضة دون مراعاة أو استجابة لما تتطّلبه الحركة المعرفية في البيئة العربية. ويمكن إيجاز النقاط المستخلصة مما عرض سابقا فيما يلي:

1. ارتبطت البلاغة العربيّة ارتباطا شديدا بالجوانب التّواصليّة (المقام)، ومن دونها لا يمكن فهم الملفوظ ، وتأويله إلا في حدود ما تتيحه بقيّة المستويات (الدّلالة الحرفيّة).

2. القراءات المعاصرة للدرس البلاغي القديم كان لها أهداف مختلفة ، فمنهم من رام تجاوزها ببيان قصورها ، وعدم كفايتها ، ومنهم من رأى كفايتها في ذاتها ، لكنها تحتاج إلى إعادة صياغة وعرض ، وتطعيم.

3. تتفق قراءة أبي موسى مع قراءة عبد المطلب في أنّ كلتيهما تؤمن بكفاءة التراث ، إلا أنهما تختلفان في أنّ أبا موسى يؤمن بقرءاة التراث بالتراث ، وعبد المطلب يؤمن بالقراءة الانفتاحية.

4. دافع القراءة عند أبي موسى هو الرد على الانفتاح غير المشروط على العلوم الغربيّة.

5. الآلية التي اعتمدها في قراءة الموروث البلاغي هو تتبع حركة الفكر البلاغي عند المجتهدين البارزين ، والسّعي نحو تفعيل ما وصل إليه التنظير البلاغي في قراءة النصوص.

6. دافع القراءة عند عبد المطلب هو النظرة السّلبية التي آلت إليها البلاغة العربية عند المعاصرين.

7. الآلية التي اعتمدها عبد المطلب في إعادة القراءة هي آلية التحويل المبني على أصل وفرع ، أو محوّل عنه ومحوّل ، وقد رأى أنه يمكن في ضوء هذه الآلية فهم وجه أدبية النصوص.

8. سعى عبد المطلب إلى الكشف عن الجوانب العلمية الموجودة في البلاغة ، والتي يمكن استثمارها في تقديم قراءة معاصرة.

9. استطاع عبد المطلب رد كثير من الانتقادات التي وجهها بعض المحدثين للدرس البلاغي.

ومازالت هناك قراءات كثيرة ناقشت البلاغة العربية في بعض أبوابها ، أو في هيكلها العام مازالت تحتاج إلى مزيد عرض ومناقشة ، ولاشك أنه سيكون له دورها في فتح آفاق لا تتصور إلا بالوقوف عندها.

5- مصادر البحث ومراجعه:

1) بدوي طبانه ، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط3 ، 1962م
2) حمادي صمودي ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس "مشروع قراءة" ، منشورات الجامعة التونسية ، 1981م.
3) الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2003.
4) السيد أحمد خليل ، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، دار النهضة العربية-بيروت ، 1968م.
5) شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، مصر ، ط9 ، 1965
6) صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة-الكويت ، العدد164 ، 1999م.
7) فتحي فريد ، المدخل إلى البلاغة العربية ، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة ، 1978م.
8) محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، الشركة المصرية العالمية ، ط1 ، 1997م.

9) محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، الانتشار العربي-بيروت، ط1، 2006م.
10) محمد محمد أبو موسى ،- تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، مكتبة وهبة، ط1، 2006م.
11) محمد محمد أبو موسى، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهبة، ط6، 2006م.
12) محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، ط3، 2004
13) محمد محمد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، مكتبة وهبة، ط3، 2006م.
14) محمد محمد أبو موسى، قراءة في كتابي دلائل الإعجاز، مكتبة وهبة، ط1، 1998م.
15) محمد محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، مكتبة وهبة، ط2، 1996م.
16) محمد ناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، دار محمد علي الحامي-سوسة، ط1، 1998م.

6- الهوامش والإحالات:

[1] للإشارة سنبقي على كلمة ((أبو موسى)) على الحكاية دون تغيير بحسب ما يتطلبه الإعراب في كلمة ((أبو)) لأنه مركب مع كلمة ((موسى)) على أنه اسم علم، على عادة المشارقة في إسقاط كلمة ((ابن)) بين الابن والأب والجد، محمد محمد أبو موسى التقدير فيه: محمد بن محمد بن أبو موسى .

[2] حمادي صمودي، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التونسية، 1981م، ص 13.

[3] ينظر: فتحي فريد، المدخل إلى البلاغة العربية، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة، 1978م، صص 3، 4، 5 . وينظر: السيد أحمد خليل، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار النهضة العربية-بيروت، 1968م، صص 121...133.

[4] حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، ص461.

[5] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط9، 1965، ص273

[6] فتحي فريد، المدخل إلى البلاغة العربية، ص 03.

[7] بدوي طبانه، البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1962م، ص246.

[8] محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، الانتشار العربي-بيروت، ط1، 2006م، ص 268.

[9] أحمد خليل، المدخل إلى البلاغة العربية ص 135.

[10] محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، مصر، ط3، 2004، ص42

[11] محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1997، ص18.

12 ولد في مصر سنة: 1937م ، قرأ في الأزهر وتخرج منه سنة 1963م ، وحصل على شهادة الدكتوراه سنة: 1971م ، درَّس في عدد من الجامعات العربية: الأزهر ، بني غازي ، جامعة أم القرى ... ، وله العديد من الكتب كلها في الدرس البلاغي ، منها: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، دلالات التراكيب دراسة بلاغية ، قراءة في الدب القديم ... وغيرها.

13 محمد محمد أبو موسى ، تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني ، مكتبة وهبة ، ط1 ، 2006م ، ص 10.

14 محمد محمد أبو موسى ،التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مكتبة وهبة ، ط6 ، 2006م ، (ص: ي من مقدمة الطبعة الخامسة).

15 محمد محمد أبو موسى ،من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، مكتبة وهبة ، ط2 ، 1996م ، ص 2.

16 المصدر نفسه ، ص 16.

17 محمد محمد أبو موسى ،التصوير البياني ، ص: ز من مقدمة الطبعة الخامسة.

18 محمد محمد أبو موسى ،قراءة في كتابي دلائل الإعجاز ، مكتبة وهبة ، ط1 ، 1998م ، ص 4

19 محمد محمد أبو موسى ،التصوير البياني ، ص: د من المقدمة الخامسة.

20 محمد محمد أبو موسى ،مدخل إلى كتابي عبد القاهر ، ص 3

21 محمد محمد أبو موسى ،قراءة في الأدب القديم ، مكتبة وهبة ، ط3 ، 2006م ، ص 24.

22 المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

23 المصدر نفسه ، ص25.

24 ولد في مدينة المنصورة بمصر ، في 1937/9/5 حصل على ليسانس دار العلوم 1964 ، جامعة القاهرة ، وحصل على ماجستير في النقد والبلاغة ، كلية دار العلوم عام 1973. وعلى دكتوراه في النقد والبلاغة ، جامعة عين شمس عام 1978. عمل مدرسا بقسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة عين شمس عام 1979. وأستاذا مساعدا عام 1986. وأستاذ النقد والبلاغة عام 1990 . عمل رئيسا لتحرير سلسلة أصوات أدبية ومجلة الأدباء في مصر ، له عشرون مؤلفا منشورا في مجالات النقد والأدب وعلم البلاغة ، منذ عام 1982 ، آخرها "الشاعر والتجربة" عام 2003 ، حصل على جوائز محلية ودولية... ومن مؤلفاته: البلاغة والأسلوبية (ط1: 1994). جدلية الإفراد والتركيب (ط1: 1995). البلاغة العربية قراءة أخرى (ط1: 1997).

25 محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، الشركة المصرية العالمية ، ط1 ، 1997م ، ص 1.

26 ينظر: المصدر نفسه ، صص 2 ، 3.

27 المصدر نفسه ، ص4.

28 المصدر نفسه ، ص5.

29 المصدر نفسه ، ص7.

30 المصدر نفسه ، ص10.

31 المصدر نفسه ، ص11.

32 ينظر: المصدر نفسه ، صص14 ، 15.
33 ينظر: المصدر نفسه ، ص15.
34 انظر: المصدر نفسه ، ص17.
35 المصدر نفسه ، ص18.
36 ينظر: المصدر نفسه ، ص21.
37 ينظر: المصدر نفسه ، ص30.
38 المصدر نفسه ، ص88.
39 المصدر نفسه ، ص89.
40 ينظر: المصدر نفسه ، ص102.
41 المصدر نفسه ، ص93.
42 المصدر نفسه ، ص92.
43 المصدر نفسه ، ص92.
44 المصدر نفسه ، ص93.
45 المصدر نفسه ، ص96.
46 ينظر: المصدر نفسه ، ص79.
[47] السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص161.
48 محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص105.
[49] المصدر نفسه ، ص106
[50] السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص75.
51 محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص111.
[52] المصدر نفسه ، ص130.
[53] المصدر نفسه ، ص130.
[54] السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص161.
[55] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص203 إلى ص210.
[56] ينظر: الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2003 ، ص29.
57 ينظر: محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص96.
58 صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة- الكويت ، العدد164 ، 1999م ، ص 100. وإن كان يذهب إلى أن بلاغيينا القدامى لم يكونوا علميين في هذا تحديد لهذه القواعد العامّة ، لأنها لم تكن نابعة عن استيعاب كلي لتحليل الوقائع ، وإنما كانت مجرد فروض منطقية قبلية تم اختبارها على شواهد منتقاة بطريقة جزئية. وهذا القول فيه نوع من المبالغة المفرطة ، لأنه لا يمكن أن يكون مجرد التخمين هو المسؤول عن وضع القواعد البلاغية ، ولا يمكن تصور ذلك إلا إذا تصورنا استقراء ، ولو جزئيا ، يسمح تعميمه على الكل أن واضعي هذه

القواعد كانوا أصحاب لغة وملكة ، ثم ادعاء الاطراد في الظواهر اللغوية أمر يقترب من المستحيل ، ولهذا يجب تجاهل القليل المخالف لما هو كثير ومستفيض.

59 محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص157.

60 ينظر: المصدر نفسه ، ص210.

61 المصدر نفسه ، ص 73.

62 المصدر نفسه ، ص88.

63 انظر: الفصل الذي عقد محمد ناصر العجيمي بعنوان "المناهج الغربية الحديثة والبلاغة" فقد بين فيه صور ارتباط المناهج الجديدة بالبلاغة الغربية القديمة ، وأن هذه المناهج قد قامت على خلفيات فكرية أكثرها من البلاغة الغربية. في كتابه "النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية ، دار محمد علي الحامي- سوسة ، ط1 ، 1998م ، (بداية من ص: 562 ، وما بعدها).